فإذا انشدته شيئي فإذا أنت أفاده نختبر
مزجت روحه من روح كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا انشدته شيئي فإذا أنت أنا في كل حال

ومنها غاية ما بلغه علمي وأدركه فهمي ونهى إليه الناس في حسن الاختيار معروف من المواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب ومن أحسن التشبيب الرقيق قوله فيما كتب أبا إسحاق الصابي

إن الكرى من شر كرهي ويعضهم مثل الفراق مانع كرهي من الوسن
لقد تمازجنا قلبانا كأنهما تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن

ويقال كاتب تضرعه كانت لكاتب حبيبته فإن غزل الرسالة أرق من غزل العلاقة والنفس بالتصريح آنس منها بالتعريض ويقال إذا كانت أخلاق مليكك السواد في سواد العيون والخال كالسر من بياض السواد فإنه من كثرة خصاله وجب ضلاله

الفصل الثالث من الباب الخامس عشر في ذم الثقيل والبغيض بما فيهم من النثر والقريض

قال الله تعالى فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث وقالت عائشة رضي الله عنها هذه الآية نزلت في الثقلاء. وكان أبو هريرة إذا رأى رجلا ثقيلا يقول اللهم اغفر له وأرحنا منه وكان الأعمش إذا رأى ثقيلا مقبلا يقول ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون وروي عنه أنه قال من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء. قيل له ومشت عينه قال من النظر إلى الثقلاء، فإنه ما رأيت ثقيلا قط إلا واشتكت عيني وكان يقول إذا كان عن يسارك ثقيل في الصلاة فتسليمة واحدة تكفيك وكان بعضهم إذا رأى ثقيلا قال استراح العميان من النظر وقيل لرسطاطاليس ما بال الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لأن الحمل تشترك الجوارح في حمله والثقيل ينفرد القلب بثقله

إن الثقيل وإن خف جسمه كان الثقيل على الفؤاد ثقيلا

وقال بعض الملوك لطبيب جس نبضه بجسه فقال مزاج متغير لأني أرى فيه تكون أقبل لجالسك اليوم ثقيل قال نعم قال هذا من ذاك

وقال

وقال جبريل بن بختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء فإن الأطباء قالوا مجالسة الثقلاء حمى الروح وقيل لمحمد بن زكريا الرازي لم صار الثقيل السمج أوحش في الروح من الذكي في الأصحاء التي العقل فقال ليس ما الكتب أبدا كما أن ضعف الشيء أن مجالسة الثقيل يغلب الأسقام وينحل الأجسام ويورث الأحزان ويورم الأبدان وينسي الأذكار ويشرب الأرواح فيحلو الأجسام ويحيل الأسماع ويسحر الأفهام ويجري الأمراض وينشئ الكسل ويغير الأركان وقال أرسطاطاليس للإسكندر إياك ومجالسة الثقيل فإن فيها ذبول الروح وذهول العقل وموت الفجأة وقال الأصمعي شيئه يقلب وربما تمثل انتكار الطبع ومرضه الخلاع والسراج الفلج ويكاد أن كمال وخلاف من تعب ورؤية الثقلاء. وما أنا ولا بمطلعه كوامن البغضاء بكشف عن مساويه ستور الأغطاء عاد الأعمش أبو حنيفة فقال له بعد طول الجلوس يا أبا محمد ما أشد شيء مر بك في علتك قال جلوسك عندي قال ما تشتهي قال أشتهي أن لا أراك ويحكى أنه قال له يا أبا محمد لولا ما أخاف من التثقيل عليك لزرتك في كل وقت فقال إنك لثقيل علي وأنت في بيتك فكيف إذا جئتني وقال رجل له في العيادة إن الله لي يا خير من عوض ينبيه الذي عوضه خير ابنه فما الذي عوضك فقال أن لا أرى ثقيلا مثلك اعتذر رجل إلى الأعمش في تخليل زيارته فقال ما رأيت أحسنا يعتذر منه إلا من أحلى أمام يقوم فكان يلحظ سلح لأنه يعرض عظمه من الضجر فقال وإنه يكفيني أن قيل إنما شعير فقال أنا رسول إنما شعير إليك بأنك ثقيل فإنهم لا يجيئون إليهم من احتمال يده ومن لطيف أبو علي البصير من أبي العيب أبياتا يهجو بها أما ما ثقيلا وجرى ضرورة في تطويله ثقيلا ذكر ما في هذا الموضع لأني لما فيه من المعنى البديع واللفظ الرائي

وأثقل روحا من عقاب عقنقل أجمد ما غام من جنوب وشمال
يجوم فينا في الخميس فيجمع خمسة وأم بعز ... من عل
يحيل فيها في الغمام كأنه منارة خسر أمس منتصل
ويحتشر في الغي أن تحمنا كأنما ينشد بالمراس إلى من جندل